

الهوية اللغوية في فلسطين بين خطر الضياع وحمية البقاء

Linguistic identity in Palestine between the danger of loss and the inevitability of survival

السيد محمد سالم* & رجب إبراهيم أحمد عوض**

Ragab Ibrahim Ahmed Awad & Elsayed Mohamed Salem

الملخص: يتناول هذا البحث هوية اللغة العربية ومستقبلها في الأراضي الفلسطينية المحتلة التي هي بين المطرقة والسندان؛ إذ تتعرض للمحاربة من ناحية، ومحاولة استبدالها باللغة العبرية من ناحية أخرى في ظل قمع صهيوني يهدف إلى تثبيت أهم ركائز مشروعه الاستيطاني وهو التمهيد لتحل اللغة العبرية مكان العربية كخطوة أولى لتهود المنطقة بأسرها. ويتحتم أن نعلم تاريخية هذه المحاولات الخبيثة لتهود اللغة، بل والمنطقة، كذلك المقاومة المستميتة للغة العربية وأهلها في الأرض المباركة، وأن متلازمة الصراع بين الجانبين ممتدة عبر حقبة زمنية طويلة تحاول اللغة العربية أن تقف صامدة ومن أمامها حائط صد قوي من مفكري ومثقفي الأرض المباركة فلسطين ومن خلفهم طائفة المؤمنين بقضايا اللغة العربية. وبأني هذا البحث ليلفت النظر إلى حتمية الحفاظ على اللغة العربية مما يضمن الحفاظ على الوجود الفلسطيني، وللوقوف على التاريخ اللغوي للغة العبرية، وعرض صورة قريبة من الواقع اللغوي الفلسطيني والهجمات الصهيونية الشرسة عليه ومحاولة عبرته، مما يمثل حلقة من حلقات الصراع الإسرائيلي لمحو الهوية العربية والإسلامية لفلسطين المباركة. مستعنين في ذلك بالمنهج التكاملية.
كلمات مفتاحية: الهوية- عبرة - خطر - البقاء- تهود

Abstract: This research deals with the identity and future of the Arabic language in the occupied Palestinian territories, which are between the rock and the anvil. It is subjected to fighting on the one hand, and an attempt to replace it with the Hebrew language on the other hand, in light of Zionist oppression that aims to establish the most important pillars of its settlement project, which is the prelude to replacing the Hebrew language with the Arabic language as a first step to Judaizing the entire region. It is imperative that we know the history of these malicious attempts to Judaize the language, and indeed the region, as well as the desperate resistance of the Arabic language and its people in the blessed land, and that the syndrome of conflict between the two sides extends over long periods of time. And behind them is a group of believers in the issues of the Arabic language. This research comes to draw attention to the inevitability of preserving the Arabic language, which

* أستاذ دكتور بكلية اللغات والاتصال- جامعة السلطان زين العابدين- ماليزيا sayedsalim@unisza.edu.my

** أستاذ مشارك بكلية اللغة العربية- كلية اللغة العربية- جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية.

guarantees the preservation of the Palestinian existence, and to find out the linguistic history of the Hebrew language, and to present a close picture of the Palestinian linguistic reality and the fierce Zionist attacks on it and an attempt to cross it, which represents a cycle of the Israeli conflict to erase the Arab and Islamic identity Blessed Palestine. Using the integrative approach.

Keywords: Identity - Hebrew - danger - survival – Judaization

أهداف البحث:

1. التنبيه على أهمية اللغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية والذاكرة التاريخية والرواية الفلسطينية.
2. تعيين موقع كل من اللغتين العربية والعبرية في التاريخ الفلسطيني القديم.
3. توضيح العلاقة بين قيام الكيان الصهيوني وإحياء اللغة العبرية.
4. الوقوف على محاولات تهويد وعبرنة اللغة في الداخل الفلسطيني.

منهج البحث:

- المنهج التاريخي: تم استخدامه في المبحث الأول؛ لذكر نبذات تاريخية عن أرض فلسطين، وتاريخ اليهود ولغتهم العبرية.
- المنهج الوصفي: تم الاعتماد عليه لجمع المادة العلمية الأساسية للبحث ووصفها وتفسيرها.

مصطلحات البحث:

- عبرنة: مصدر (عبرن)، أي: صبغ الكلمة بصبغة عبرية -قياسا بالتعريب-، والعبرنة هي "إعطاء صورة عبرية لكلمة" (1)، وهي كما يقول البروفيسور محمد أمارة في كتابه (اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات): "عملية ومسار تتم من خلالها إعطاء العبرية طابعا إيدلوجيا وسياسيا" (2).
- تهويد: مصدر (هوّد) أي جعل الشيء يهوديا (3)، والتهويد هو فرض الطابع اليهودي على الأرض أو الشعب أو اللغة أو الثقافة أو الهوية، و(تهويد اللغة العربية) أي: تغيير معالمها وتفريغها من مضمونها ومخزونها الثقافي والعربي والإسلامي، وإضفاء الطابع اليهودي عليها.

(1) عبرنة/https://ar.wikipedia.org/wiki

(2) انظر: عمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(3) تهويد/https://www.maajim.com/dictionary

المقدمة:

إن اللغة ليست مجرد وسيلة لقضاء الحاجات والتعبير عن الرغبات، وليست مجرد وسيلة للتواصل الإنساني والبشري وحسب، إنما تتجاوز اللغة مهامها المنوطة بها تلك إلى دور أوسع وأهم بكثير؛ فاللغة هي أهم المكونات والمركبات التي تتكون منها هوية الفرد والجماعة، ولغة الإنسان وهويته وجهان لعملة واحدة، كما وللغة أهمية كبيرة ولا شك في حفظ ذاكرة الأمم والحضارات وتاريخ الشعوب.

ولقد أدرك الكيان الصهيوني دور اللغة العربية في حفظ الهوية العربية والإسلامية للفلسطينيين، وأن اللغة العربية هي رمز الوجود الفلسطيني، وهي الوعاء الذي يحفظ الذاكرة التاريخية لهذا الشعب؛ ولذلك حرصت إسرائيل على تهويد وعبرنة اللسان الفلسطيني العربي عن طريق إضعاف اللغة العربية وتفتيتها تدريجياً من خلال وسائل علمية وتعليمية وإعلامية، وتفريغ اللغة العربية من مضمونها وإضفاء الطابع اليهودي عليها، والهدف من وراء ذلك إذابة وصهر شخصية وهوية المواطن الفلسطيني في المجتمع اليهودي، فلا يبق له تاريخ ولا هوية ولا حق في المطالبة بأرضه.

لهذا وغيره جاء هذا البحث كمحاولة لتوعية أبناء لغة الضاد بالخطر المحدق باللسنة الفلسطينية، وبالتحديات الكبيرة التي تواجهها اللغة العربية في الداخل الفلسطيني، والدعوة لحماية اللغة العربية كجزء من حماية التاريخ والوجود الفلسطيني، وكجزء من الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.

المبحث الأول: نبذة تاريخية

يَدَّعي اليهود كذباً أن فلسطين هي أرضهم التي كتبها الله لهم، وأن لهم تاريخاً عريقاً، وحضارة مزدهرة، وتراثاً لا يُنافس مرتبط بهذه الأرض، ولا يألون جهداً في إثبات زعمهم المكذوب بطرائق وأساليب شتى. فاستعانوا باللغة العبرية التي يعتبرونها اللغة الأم لجميع اللغات السامية، لتكون دليلاً وبرهاناً على صدق ادعاءاتهم المُفتراة، وأوعزوا للعالم أنها لغة مستقلة متكاملة، وأن كل اليهود تجمعهم لغة واحدة هي العبرية؛ كمحاولة لاستمداد القوة منها. وأن هذه اللغة تتكلم بها الملائكة، وأن الرب استخدم هذه اللغة في خلق العالم؛ كمحاولة أخرى لإضافة القدسية عليها.

ولمّا كان دأبهم المستمر هو تزييف الحقائق، وتحريف التاريخ، وتغييب الوعي، وتضليل العالم؛ كان لابد من المرور سريعاً على ما مضى من وقائع في الزمن الغابر، وكان لا مناص من تقصي بعض الحقائق التاريخية؛ لوضع النقاط على الحروف، ومعرفة الصحيح من الزائف، وتفنيد الأكاذيب،

وتحديد موقع اليهود بالنسبة لفلسطين، ومن ثمّ تعيين موقع وحضور اللغة العبرية في التاريخ الفلسطيني قديماً وحديثاً.

المطلب الأول: حضارة الكنعانيين:

بعد أن رست سفينة نوح -عليه السلام- على شاطئ الجودي، انقسم من آمن معه إلى ثلاثة: القبائل العربية السامية والتي نزلت في شبه الجزيرة العربية، وقبائل الفرس وذهبوا إلى شرق نهر الفرات، والأقباط الذين نزلوا مصر(4).

وكان لأبناء القبائل العربية السامية لغة واحدة تجمعهم وهي اللغة السامية الأولى، بيد أن تفرّق الساميين وانقسامهم إلى قبائل وطوائف متعددة ومختلفة، وهجراتهم إلى شتى بقاع الأرض؛ أدى إلى تفرّعها إلى لهجات، ثم تطورت كل لهجة وزادت مفرداتها حتى غدت لغة مستقلة، لدرجة أنه يصعب الآن تحديد اللغة السامية الأولى لقصورها وقلة مفرداتها، بالإضافة إلى توغلها في القدم، وخلوها من العلم والتفكير(5).

هاجرت بعض القبائل العربية من جزيرة العرب إلى بلاد الشام بحثاً عن الرزق لصعوبة المعيشة في شبه الجزيرة، فنزحت عدة قبائل عربية إلى أرض فلسطين، أبرزها "الكنعانيون"، وكان هذا قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام(6).

وقد أجمع المؤرخون الشرقيون والغربيون على أن أول آثار معروفة في فلسطين ترجع إلى الكنعانيين، وأن أول السكان المعروفين لأرض فلسطين هم من العرب الكنعانيين، وفي هذا الوقت لم يكن هناك أي ذكر لليهود، فقد عاش الكنعانيون على أرض كنعان ما يقرب من ألفي عام قبل ظهور الإسرائيليين عليها(7).

وكانت اللغة المستخدمة على "أرض كنعان" هي اللغة الكنعانية، وهي مشتقة من اللغة السامية الأولى، وقد ضمت اللغة الكنعانية العديد من اللهجات، منها: العبرية، والتي كانت موجودة على أرض كنعان قبل هجرة الإسرائيليين إليها.

(4) وثائقي، (تاريخ فلسطين من البداية إلى الآن)، ج1، يوتيوب.

https://www.youtube.com/watch?v=mGAQ0sXozIE&list=PLOe12XjJzxC7tJ83riuZ8pzlcZQ_4De2

(5) انظر: وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر، القاهرة.

(6) انظر: حتي، فيليب، (ت: جورج حداد، عبد الكريم رافق)، ج1، دار الثقافة، بيروت.

(7) انظر: السويدان، طارق، فلسطين .. التاريخ المصوّر، دار الإبداع الفكري.

المطلب الثاني: بنو إسرائيل:

ولمعرفة أصول الإسرائيليين لابد من المرور سريعا على حياة إبراهيم -عليه السلام- وذريته؛ حيث تذكر الروايات أن إبراهيم -عليه السلام- ولد في مدينة "حران" 8، وقيل في مدينة "أور" 9، وبعد أن عارضه قومه ولم يؤمنوا به هاجر إلى أرض كنعان، ثم إلى مصر، ثم عاد إلى أرض كنعان، وأنجب ولديه إسماعيل وإسحاق -عليهما السلام-.

ثم ولد سيدنا يعقوب بن إسحاق على أرض كنعان، لكن أمه أرسلته إلى موطنهم في "حران" عند خاله، ومكث في "حران" ما يقرب من عشرين سنة؛ حيث تزوج ابنتي خاله، وأنجب أحد عشر ولدا منهم يوسف -عليه السلام-، ثم عاد إلى أرض الغربية كنعان وأنجب بنيامين (10)، ليصبح أبناؤه اثني عشر ولدا، أنت منهم طوائف بني إسرائيل وهم الأسباط؛ حيث إن كلا منهم خرج من نسله أمة، قال تعالى: (وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا) (11).

وهذا إن دلّ، فإنما يدل على أن بني إسرائيل عاشوا على أرض كنعان فترات من الزمن، لكنهم كانوا مهاجرين إليها ودخلاء عليها، فلم تكن فلسطين وطنهم الأصلي بل كانت أرض غربتهم، ومحل هجرتهم.

لم تكمل ذرية يعقوب جيلا واحدا في فلسطين 12؛ فقد ذهبوا بعد ذلك إلى مصر عندما استدعاهم سيدنا يوسف، وبقي الإسرائيليون على أرض مصر حتى بعث الله لهم سيدنا موسى، فخرج بهم من مصر لينقذهم من فرعون وشره، وأمرهم الله بدخول الأرض المقدسة لكنهم رفضوا؛ ففضى الله عليهم بالتيه أربعين سنة، جُمعوا بعدها مرة أخرى بقيادة نبي الله يوشع بن نون -عليه السلام- ودخلوا أرض فلسطين عام 1250 قبل الميلاد تقريبا، ونشير هنا إلى أنه عندما دخل الإسرائيليون أرض فلسطين، كان للكنعانيين حضارة عريقة متكاملة وتراثا مُشيد، إلا أن الإسرائيليين قاموا بسرقة هذه الحضارة وادعوا في التوراة أنها لهم، كما أخذوا أيضا الأدب والثقافة والتقاليد الكنعانية ونسبوا إلى أنفسهم، فقد "دلت الحفريات على أن هناك مقارنات ومشابهاة من حيث اللغة والأفكار بين الأدب

(8) انظر: الطبري، تاريخ الطبري، (تح: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط2، دار المعارف، مصر، 1967.

و"حران" هي مدينة قديمة في بلاد ما بين النهرين تقع حاليا جنوب شرق تركيا.

(9) انظر: وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين، ط2، ج1، ص 10.

و"أور" هي موقع أثري لمدينة سومرية تقع في تل المقيبر جنوب العراق.

(10) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، دار عالم الكتب.

(11) (الأعراف: 160)

(12) السويدان، طارق، فلسطين .. التاريخ المصوّر، دار الإبداع الفكري، ص 28.

الكنعاني وبين كثير من أسفار التوراة" (13)، فلم يكن لليهود أي إسهام حضاري يُذكر، وفي هذا يقول المؤرخ الفرنسي (جوستاف لوبون): "لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة... واليهود لم يأتوا قط بأي مساعدة صغرت أو كبرت في شتى المعارف البشرية... واليهود لم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ" (14)، ونختم هذه النقطة بقول المؤرخ البريطاني (كيث وايتلام): "إن تاريخ إسرائيل القديمة يبدو لحظة قصيرة في التاريخ الفلسطيني القديم" (15).

المطلب الثالث: فلسطين عربية إسلامية:

مر على فلسطين طوائف كثيرة؛ فحكمها الآشوريين والبابليين، ثم وقعت تحت حكم الفرس، وظل الكنعانيون وغيرهم من القبائل العربية الأولى على أرضهم، لم يغادروها ولم يهاجروا منها، وتوالت عليها الطوائف، حتى فتحها ودخلها المسلمون سنة 15 هـ، في عهد الفاروق عمر -رضي الله عنه-.

"ويرى ثقات المؤرخين أن معظم أهل فلسطين الحاليين، وخصوصاً القرويين، هم من أنسال القبائل الكنعانية والعمورية، ومن القبائل العربية التي استقرت في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وبعده؛ حيث اندمج الجميع في نسيج واحد، يجمعهم الإسلام واللغة العربية" (16).

من هذا يتضح أن أرض فلسطين لم تكن يوماً أرضاً بلا شعب كما يزعم اليهود، بل سكنتها القبائل العربية منذ فجر التاريخ، وأقاموا عليها حضارة عريقة قبل ظهور الإسرائيليين على أرض كنعان، وبقيت القبائل الكنعانية العربية على أرض فلسطين حتى دخل الإسلام هذه الأرض، فأسلموا وأصبحت لغتهم عربية، بينما كان اليهود دائمي الشتات والته، لم تجمعهم يوماً أرض واحدة ولا لغة.

المطلب الرابع: تاريخ اللغة العبرية:

(13) الأحمد، أحمد عيسى، "محاولة لاستعادة تاريخ فلسطين الحقيقي"، العربي، أغسطس 2001.
<http://www.3rbi.info/Article.asp?ID=5830>

(14) أبو حكمة، هشام، تبيان الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة، دار الجليل، عمان، ص 242.

(15) الأحمد، أحمد عيسى، "محاولة لاستعادة تاريخ فلسطين الحقيقي"، العربي، أغسطس 2001.

(16) صالح، محسن محمد، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة، بيروت - لبنان، ص 13.

نشأت اللغة العبرية في أرض كنعان قبل هجرة الإسرائيليين إليها؛ حيث كانت مجرد لهجة كنعانية وقتها، وكان الإسرائيليون قبل هجرتهم إلى أرض كنعان يستخدمون اللغة الآرامية (17)، فقد كان الشعب العبراني من أصل آرامي كما ورد في سفر "التثنية".

وعندما هاجر الإسرائيليون إلى أرض كنعان استخدموا اللهجة العبرية، ثم أصيبت هذه اللهجة بكثير من التحريف على ألسنة الإسرائيليين (18)، فغيروا فيها وأضافوا إليها مفردات من لغتهم الأصلية "الآرامية"، حتى أصبحت لغة مستقلة خاصة بهم، فاللغة العبرية القديمة إذن هي مزيج من الكنعانية والآرامية.

وقد مرت اللغة العبرية بأطوار عديدة؛ حيث قويت في حين، وضعفت في حين، واندثرت في أحيان أخرى، متأثرة في ذلك كله بما يمر به الإسرائيليون من وحدة أو شتات. ولعل أهم الأطوار التي مرت بها اللغة العبرية ما يلي:

عبرية العهد القديم (العبرية الأولى):

كما ذكرنا آنفا فإن اللغة العبرية كانت مزيجا من الكنعانية والآرامية، ويقال أيضا أن بعض مفردات اللغات المجاورة دخلت عليها، كالبابلية والآشورية والمصرية القديمة، فلم يتوفر لهذه اللغة أسباب الاستقلال اللغوي (19). وظلت اللغة العبرية الأولى حية ومستخدمة على ألسنة الإسرائيليين منذ دخولهم أرض كنعان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حتى القرن الرابع قبل الميلاد، فبعد السبي البابلي لليهود أخذت العبرية الأولى في الاضمحلال شيئا فشيئا، حتى حلت الآرامية محلها على ألسنة اليهود، "وما كاد ينتهي القرن الرابع قبل الميلاد حتى غدت العبرية في عداد اللغات الميتة في التخاطب" (20)، وبقيت محفوظة فقط في الأسفار والكتب الدينية، فقد كان أهم ما يميز هذا الطور، أنه وفي القرون الثلاثة الأخيرة من هذه المرحلة دُونت معظم أسفار العهد القديم بهذه اللغة، ورغم أن العبرية في هذا الطور تُعد في أزهى عصورها؛ حيث كانت أقرب إلى الصفاء منها في العصور

(17) انظر: كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق، ص33.

(18) انظر: السابق، ص35.

(19) انظر: بلعوي، حكمت، "الجدور التاريخية للغة العبرية ومنابع تطورها"، مؤسسة فلسطين للثقافة، 2006-6-22.

<http://www.thaqafa.org/site/pages/details.aspx?itemid=6601#.WaqRALpuIqQ>

(20) كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق، ص39.

المتقدمة، إلا أنها لم تصل إلى أي درجة من درجات الكمال في هذا الطور، فقد بلغت مفردات العبرية الأولى ما بين 7500 إلى 8500 كلمة (21).

عبرية ما بعد العهد القديم (العبرية الربانية أو التلمودية):

في مطلع العصور الوسطى ظهر ما يسمى بالعبرية الربانية، والتي كان يستخدمها رجال الدين فقط، وكانت العبرية في هذه المرحلة متأثرة بأسلوب اللغة الآرامية، وتحتوي على الكثير من المفردات الآرامية واللاتينية والإغريقية والفارسية، ولكن الأساس الذي تعتمد عليه ظل عبريا (22).

وبهذه اللغة تمت كتابة مجموعة من البحوث في الشؤون الدينية من قبل رجال الدين، وتكونت من هذه البحوث "المشناه"، وتم شرحها باللغة الآرامية فيما أُطلق عليه "الجمارا" -مما يدل على أن اليهود لم يفهموا العبرية الأولى-، ومن "المشناه" و"الجمارا" تألف "التلمود".

وفي هذا الوقت كان اليهود مفرّقين وموزّعين على كثير من البلدان، واستخدموا لغات البلاد التي نزلوا بها في الحياة الاجتماعية وفي التخاطب؛ حيث ظلت العبرية أيضا في هذا الطور مقتصرة على الكتابات الدينية.

العبرية الحديثة:

حاول مفكرو اليهود في القرن التاسع عشر إحياء العبرية الأولى من جديد، لكنهم فشلوا في الموازنة بين العبرية القديمة ومتطلبات العصر الحديث، فاستعانوا بمفردات العبرية التلمودية، ثم استعاروا من اللغات الأوربية كالألمانية والروسية (23)، كما تأثرت العبرية الحديثة كثيرا باللغة العربية لشدة الاحتكاك بينهما، وضمت العبرية الحديثة ما يزيد على 68 ألف كلمة (24). العجيب أن هذه المحاولات لإحياء العبرية تمت مواجهتها في البداية من قبل اليهود المتدينين، فقد كانوا يعتبرون أن العبرية لغة مقدسة لا يجوز استخدامها كلغة تخاطب (25).

ولقد بذل رائد إحياء اللغة العبرية اليهودي (اليعازر بيرلمان) جهودا جبارة لنشر العبرية على ألسن اليهود، فقد "كان يؤمن بالترابط الوثيق بين إحياء اللغة العبرية وتجسيد الهوية الوطنية للشعب

(21) انظر: بلعاوي، حكمت، "الجذور التاريخية للغة العبرية ومنابع تطورها"، مؤسسة فلسطين للثقافة، 22-6-2006.

(22) انظر: كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق.

(23) انظر: بلعاوي، حكمت، "الجذور التاريخية للغة العبرية ومنابع تطورها"، مؤسسة فلسطين للثقافة، 22-6-2006.

(24) انظر: السابق.

(25) انظر: كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق.

اليهودي" (26). حاول اليعازر خلق عبرية حديثة سهلة وبسيطة، ووضع (المعجم العبري القديم) و(المعجم العبري الحديث) (27)، حتى أصبحت اللغة العبرية الحديثة لغة الحديث اليومي، وعادت لغة تخاطب من جديد، بعد مرور أكثر من عشرين قرناً على سباتها، وبسبب كل هذه الإضافات والتعديلات التي أُدخلت عليها، صارت لا تمت بصلة إلى عبرية العهد القديم، لدرجة أن اليهود اليوم لا يستطيعون فهم ما كُتب في التوراة وأسفار العهد القديم والذي كان باللغة العبرية الأولى. الجدير بالذكر أن أكثر من 60% من يهود العالم اليوم يعيشون خارج فلسطين، ولا يعرفون شيئاً عن العبرية، ويستخدمون لغات البلاد التي يعيشون فيها (28)، وهذا يبطل زعم اليهود بأنهم شعب حضاري تجمعهم لغة واحدة.

وعن أصالة أي لغة يقول الدكتور جعفر ذلك الباب الباحث في علم اللسانيات: "حين نصف لساناً ما بالأصالة نقصد أنه يتوفر فيه عنصران هما: الإيغال في القدم من ناحية، والاستمرار في الحياة من ناحية أخرى" (29). ولا نستطيع ألبتة إسقاط الأصالة بهذا المعنى على اللغة العبرية، فإن غرضنا الطرف عن العنصر الأول، واعتبرنا العبرية متوغلة في القدم—ولا يتم ذلك لما أوضحناه سابقاً—، فلا يمكن التجاوز عن العنصر الثاني، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن نضفي عليها عنصر الاستمرار، فقد أوضحنا أنها كانت لغة حية لمدة عشر قرون تقريباً، ثم أصبحت في عداد الموتى لأكثر من عشرين قرناً، قبل أن يتم إحياءها من جديد في القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى المفارقة الكبيرة بين عبرية العهد القديم والعبرية الحديثة.

كل ما ذكرناه آنفاً، وكثير غيره مما لا تتسع صفحات البحث لطرحه، يبرهن على أن هذه اللغة ليست لغة أصيلة، وليس لها أي حضارة أو تراث تستند عليه، بل هي لغة مسروقة ومحرّفة، ولم يكن لها أي أساس متين تُبنى عليه، وإنما هي مزيج وخليط من لغات شتى متفرّقة، وأنه حتى في الفترة التي كانت فيها هذه اللغة أقرب إلى الصفاء، لم تكن أبداً لغة مكتملة وناضجة. فهي إذن لغة مكتوب عليها الشتات والضياح كما كُتب على أصحابها!

(26) عبد الباقي، دعاء، "كيف ساعدت اللغة العبرية على قيام دولة إسرائيل؟"، (م: ساسة)، 27-10-2016.

[/https://www.sasapost.com/hebrew-language](https://www.sasapost.com/hebrew-language)

(27) انظر: كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق.

(28) انظر: صالح، محمد حسن، "الرد على اليهود"، (م: كشف الشبهات)، نقلاً عن آخر.

<http://www.khayma.com/kshf/R/Ya/yahood.htm>

(29) ذلك الباب، جعفر، "أصالة اللسان العربي"، (م: التراث العربي، ع10)، 1-1-1983.

<http://archive.sakhrit.co/newPreview.aspx?PID=1931188&ISSUEID=16102&AID=361955>

المبحث الثاني: واقع الصراع بين العربية والعبرية

إن الاحتلال من أخطر الأحداث التي يمكن أن تؤثر على اللغة، وقد تعرضت اللغة العربية على امتداد الوطن العربي لهجمة شرسة، وكيد مخطط مدروس، وفي كل مرة كانت تقع فيها دولة عربية تحت وطأة الاحتلال، لم يكن الاحتلال يحارب اللغة العربية نفسها، فاللغة العربية محفوظة ما دامت السماوات والأرض، وإنما يحاول محو اللغة من لسان أصحابها. عندما احتلت فرنسا الجزائر، قال الحاكم الفرنسي في الجزائر: "يجب أن نزيل لغة القرآن العربية من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي حتى نتصير عليهم" (30). وهذا ما يحاول اليهود فعله حيال اللغة العربية في فلسطين، فهم يسعون سعيًا حثيثًا لإضعاف اللغة العربية على لسان أصحابها، واقتلاع اللسان العربي واستبداله بالعبري بشتى الطرق والوسائل، للقضاء على الهوية العربية وتهويد لسان أصحاب الأرض، فلا يبق للفلسطيني أي وجود، ولا أي شيء يربطه أو يذكره بأصله وهويته.

لقد استطاع الكيان الصهيوني أول قيامه الاستيلاء على أرض فلسطين، والسيطرة على الشعب الفلسطيني سياسيًا؛ بيد أنه لم يستطع السيطرة على ذلك الشعب اجتماعيًا ولا ثقافيًا، لقد عجز الكيان عن خنق وإذابة المواطن الفلسطيني في المجتمع اليهودي، فوجّه سهامه مباشرة نحو اللغة العربية، إيمانًا منه بدور اللغة العربية في الحفاظ على الذاكرة والهوية الفلسطينية.

وبالتزامن مع تأسيس الكيان الصهيوني وقيام دولة إسرائيل المزعومة سعت الحكومة الإسرائيلية لفرض فكرة "أحادية اللغة" محاولة جمع شتات اليهود وليكون إحياء العبرية أول سهم يتم توجيهه نحو اللسان العربي، وأدرك اليهود أنهم "لا يستطيعون أن يكونوا شعبًا حيا إلا بعودتهم إلى لغة الآباء، فرفعت الحركة الصهيونية في بداية نشاطها شعار: أرضنا ولغتنا" (31).

ويقول (إيلان بابيه) المؤرخ الإسرائيلي أن هرتزل وهو يخطط لقيام الدولة الإسرائيلية أراد أن تكون لغتها هي الألمانية لا العبرية، لأن الألمانية لغة التقدم والعبرية لغة بدائية. كما رأى هرتزل أن تبني لغة عالمية متقدمة كالألمانية سيساهم في القضاء على الانفصال والضياع الذي عانى منه المجتمع اليهودي لقرون.

(30) حمدان، محمد جهاد، "ليست صدفة"، م: دنيا الوطن، 28-2-2014.

<https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/321927.html>

(31) السيد، محمد محمود، "أسطورة الإحياء: كيف هاجرت العبرية إلى فلسطين؟"، ج 1، (م: إضاءات)، 19-2-2016.
[/https://www.ida2at.com/legend-how-the-hebrew-immigrated-to-palestine](https://www.ida2at.com/legend-how-the-hebrew-immigrated-to-palestine)

إلا أن اليهود أصروا على اتخاذ العبرية لغة للدولة الجديدة؛ حيث "آمن (إلياعزر بن يهودا) أن إحياء اللغة العبرية وإيجاد وطن لليهود مرتبطان بشكل وثيق ببعضهما البعض؛ فتحقيق أحدهما شرط أساسي للآخر" (32). وحاول اليهود "تعميم تعبير (الدولة العبرية) كاسم يُطلق على الدولة المقامة في فلسطين، لربط تاريخهم بأقدم العصور، ولجعل عصر اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة، وبذلك يكون تاريخ فلسطين تاريخاً يهودياً" (33).

القضية إذن ليست مجرد لغة قوم مكونة من حروف وكلمات تم إحيائها لتوحيد اليهود وجمعهم، بعد أن كانوا في الشتات يتحدثون بلغات البلاد التي نزلوها، القضية أبعد من ذلك؛ فمسألة إحياء العبرية مسألة لها أبعاد سياسية مرتبطة بقيام الكيان الصهيوني وقيام دولة إسرائيل المزعومة.

والقضاء على الهوية العربية، وإضعاف ثقافة ولغة أصحاب الأرض الأصليين عن طريق تصدّر العبرية وهيمتها هو الهدف الرئيس للتمكّن من السيطرة على الأرض وأصحابها بشكل كامل، والانتصار على إرادة الشعب الأصلي، والقضاء على الذاكرة الفلسطينية، ومحو الوجود الفلسطيني، وطمس أي معالم تثبت لأصحاب الأرض حقهم فيها.

واليهود إذ يحاربون اللغة العربية بإحياء العبرية، فليس القصد من هذه الحرب تشويه بناء وأصول وقواعد اللغة العربية، لأنهم إذا دخلوا في حرب مع اللغة ذاتها لن يجدوا أنفسهم إلا وقد هُزموا هزيمة نكراء؛ فلا يمكن للغة كالعبرية وليدة الأمس أن تدخل في حرب مع اللغة العربية التي لا ينتطح على عراققتها وأصالتها عنزان، وإنما يحاولون جهد أيمانهم أن يُفقدوا الفلسطيني هويته عن طريق تقطيع أواصر الصلة بينه وبين لغته العربية التي تحفظ وجوده، وتحفظ لهذه الأرض تاريخها وعروبته.

المطلب الأول: المشهد اللغوي في فلسطين:

إن تعدد اللغات في فلسطين كان شائعاً خاصة في المدن الكبرى، ورغم ذلك فإن اللغة العربية كانت اللغة المسيطرة منذ الفتح العربي الإسلامي وحتى نشأة الكيان الصهيوني، إلا أن هناك لغات عديدة أخرى أدت أدواراً هامة في المشهد اللغوي في فترات قليلة من التاريخ الفلسطيني، ففي فترة الحكم العثماني على فلسطين تصدّرت اللغة التركية المشهد اللغوي وكانت اللغة الرسمية للحكومة

(32) عبد الباقي، دعاء، "كيف ساعدت اللغة العبرية على قيام دولة إسرائيل؟"، (م: ساسة)، 27-10-2016.

(33) رشيد، فايز، "عبرية الدولة تساوي يهوديتها"، (م: القدس العربي)، 17-4-2014.

<http://www.alquds.co.uk/?p=157197>

في فلسطين(34)، وكان هناك عدد غير قليل من اللغات الأوروبية ذات المكانة الدينية، وقد أقام المبشرون الأوروبيون مدارس في كبريات المدن، مثل بيت لحم، القدس، حيفا والناصرة، وعلّموا فيها اللغات: الإنجليزية، الإيطالية، الألمانية، الإسبانية والروسية، فأصبح العديد من الناس، -خصوصًا من أقام منهم في المدن- ثنائيي اللغة أو متعدّدي اللغة(35).

عندما احتل الجيش البريطاني فلسطين 1917 كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية بجانب العربية، كما اعترف الانتداب البريطاني أول قيامه على أرض فلسطين 1922 باللغة العبرية لغة رسمية بجانب العربية والإنجليزية(36)؛ حيث "يحدّد بند 82 لأمر المندوب السامي في فلسطين من العام 1922 وجود ثلاث لغات رسمية في فلسطين/إسرائيل، وهي: الإنجليزية والعربية والعبرية، وما زال هذا المرسوم ساري المفعول إلى يومنا هذا"(37)، وعمل الانتداب البريطاني على تعزيز مكانة اللغة العبرية طول فترة الانتداب (1922 – 1948)(38).

بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وصدور وثيقة إعلان قيام دولة إسرائيل، أصبح العرب الفلسطينيون أقلية مهمشة، تعيش في صراع مع الأغلبية اليهودية المسيطرة، وتجاهلت حكومة إسرائيل واقع فلسطين المتعدد الثقافات واللغات؛ حيث جعلت اللغة العبرية اللغة الرسمية الأولى للبلاد ثم العربية والإنجليزية على التوالي، "ومن المهم أن نؤكد هنا أن أسبقية اللغة العبرية في إسرائيل لم تأت بمرسوم حكومي، بل نتيجة السياسة الفعلية"(39).

أصبحت اللغة العبرية هي اللغة الأكثر سيادة وحضورا على الساحة؛ فالعبرية هي اللغة الوحيدة في كلّ شأن وقضية في حياة المواطن في إسرائيل، الحيز العامّ في إسرائيل يتحدث بالعبرية، وهي لغة

(34) انظر: دوابشة، محمد، محمد أبو الرب، "صراع العربية مع العبرية في المناطق المحتلة 1948"، الجامعة العربية الأمريكية.

(35) انظر: أمارة، محمد، "حيوية اللغة العربية في إسرائيل من وجهة نظر اجتماعية لغوية"، (م: عدالة الإلكترونية، ع9)، 2006.

(36) انظر: المصري، جميل عبد الله محمد، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، العبيكان.

(37) جبر، يحيى، عبيد حمد، "العلاقة بين العبرية والعربية"، مدونة النجاح، 1-2-2009.

11http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-

(38) انظر: المصري، جميل عبد الله محمد، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، العبيكان.

(39) جبر، يحيى، عبيد حمد، "العلاقة بين العبرية والعربية"، مدونة النجاح، 1-2-2009.

الجهاز البيروقراطي ولغة التعليم العالي، وهي اللغة الحصرية للإعلام، وهي اللغة السائدة في اللافتات الرسمية والخاصة، وفي الإعلانات الرسمية، والأهم أنها لغة أوساط سوق العمل المتاحة للأقلية (40). وقد بذل الكيان الصهيوني جهوداً قوية في اتجاه عبرنة اللغة لدى اليهود؛ حيث "مارست الحكومات الإسرائيلية الضغط على المهاجرين اليهود للتخلي عن لغاتهم الأم الأصلية واتباع سياسة أحادية اللغة" (41)، فكان "من الضروري تعلم العبرية لكل مهاجر يهودي" (42).

وأصبح اليهود يتحدثون اللغة العبرية خارج منازلهم، أما داخل بيوتهم وفي أحيائهم السكنية فإنهم يتحدثون إما لغة الموطن الذي جاءوا منه، وإما العبرية باللهجة التي يعرفونها، بالإضافة إلى أن آلاف اليهود الشرقيين يتحدثون اللغة العربية، كما يتعلم عشرات الآلاف من الأطفال اليهود اللغة العربية كلغة أجنبية (43)، وبالطبع فإن اليهود لا يعلمون أبناءهم العربية كما هي، وإنما على النحو الذي يريدون.

أما الفلسطينيون فكثير منهم يعيشون في قرى وبلدات عربية منفصلة ومنعزلة، وهؤلاء استطاعوا أن يحافظوا إلى حد ما على لسانهم العربي، إلا أنه إذا أراد فلسطيني أن يخرج اليوم من بلده، فإنه على الغالب "لن يتمكن من إدارة شؤونه من دون العبرية، فمعرفة العبرية بمستويات عالية هي شرط حيوي لإدارة الأمور بشكل ناجح" (44). أما البقية فيعيشون في المدن المختلطة، وبدا من الواضح وجود تآكل بشكل كبير في اللغة العربية على ألسنتهم، بل نستطيع القول بأن اللغة العبرية تحولت إلى اللغة الأبرز على ألسنة كثير من الفلسطينيين الذين يعيشون في المدن المختلطة (45)، بالإضافة أن هنالك ظاهرة متزايدة بين السكان العرب لاستعارة الكلمات من العبرية ودمجها في الحديث بالعربية (46)؛ حيث يقول البروفيسور أحمد ناطور في مقالة بعنوان: (بئس الزمان زمانكم):

(40) انظر: أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(41) أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010، ص89.

(42) دوابشة، محمد، محمد أبو الرب، "صراع العربية مع العبرية في المناطق المحتلة 1948"، الجامعة العربية الأمريكية.

(43) أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(44) السابق، ص40.

(45) انظر: دوابشة، محمد، محمد أبو الرب، "صراع العربية مع العبرية في المناطق المحتلة 1948"، الجامعة العربية الأمريكية.

(46) انظر: حبيب الله، محمد، "واقع ومستقبل اللغة العربية في إسرائيل"، (م: الجبهة)، 13-7-2017.

109007http://www.aljabha.org/?i=

"قد يصل عدد الكلمات بالعبرية في الجملة الواحدة أحيانا إلى أكثر من عدد الكلمات بالعربية" (47)، ونشير هنا إلى بعض الأمثلة على الكلمات العبرية التي يستخدمها العرب الفلسطينيون ويخلطونها بالعربية: شالوم [שלום] (سلام)، بوكر توف [בוקר טוב] (صباح الخير)، ما شلومخ [מה שלומך] (كيف حالك)، إني متسعر [אני מצטער] (أنا آسف)، بيكشا [בבקשה] (من فضلك)، تودا [תודה] (شكرا)، سليحا [סליחה] (عفوا)، كين [כן] (نعم)، لو [לא] (لا)، رمزور [רמזור] (إشارة ضوئية)، كوبات حوليم [קופת חולים] (محطة تزويد الوقود)، سوکار [סוכר] (سكر)، ميلاح [סוכר] (ملح)، تبوح [תפוח] (تفاح)، افتيح [אבטיח] (بطيخ)، حلاف [חלב] (حليب)، روفيه [רופא] (طبيب)، بيت حوليم [بيت-חולים] (مستشفى) (48).

خلاصة المشهد أن إسرائيل تعترف قانونيا بالعربية كلغة رسمية ثانية، مما يعني رؤية اللغة العربية حاضرة بجانب العبرية في مجالات الحياة المختلفة، لكن الواقع يبين أن ثنائية اللغة ما هي إلا سياسة صورية غير فاعلة؛ فالعبرية هي المسيطرة على المشهد اللغوي. وبوجود الاحتلال لابد من وجود الاتصال بالمحتل، فأصبح العرب الفلسطينيون يتحدثون العبرية في العمل وعند تأدية المصالح الرسمية، ونتيجة لهذا الاتصال تسللت الكثير من المفردات العبرية إلى لغة التخاطب المحكية بين العرب، وتراجعت اللغة العربية بشكل كبير وواضح على ألسنة الفلسطينيين وحلت محلها الكثير من المفردات العبرية.

المطلب الثاني: مكانة اللغة العربية في إسرائيل:

وعند الحديث عن أهمية ومكانة اللغة العربية، فإن البعض يدلل على وجود مكانة لها في المشهد اللغوي في إسرائيل بالمادة 82 من المرسوم الملكي البريطاني التي أشرنا إليها سابقا، مما يوجب أن تجد العربية تمثيلا متساويا مع العبرية في شتى مجالات الحياة الاجتماعية اليومية، لكن العبرة ليست بما سنه القانون، العبرة بما اتخذته الكيان الصهيوني من سياسة فعلية له؛ فالواقع يقول أن هناك فجوة كبيرة بين ما اعترف به القانون رسميا وبين السياسة الفعلية المنتهجة.

(47) نقلا عن: حبيب الله، محمد، "واقع ومستقبل اللغة العربية في إسرائيل"، (م: الجبهة)، 13-7-2017.

(48) انظر: شبكة فلسطين للحوار.

<https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=979131>

إن العبرية هي اللغة الطاغية والمسيطرة في الدولة، في حين أن العربية مهمّة لدى الأقلية الفلسطينية المهمشة الذين يشكّلون نحو خمس سكان الدولة⁴⁹، "وهي لا تلعب أيّ دور تقريباً في الحيز القطري العام، وليست شريكاً منافساً في دولة ثنائية اللغة"⁽⁵⁰⁾.

وبعد أن كانت اللغة العربية لغة رئيسية أولى لعدة قرون تحولت بين ليلة وضحاها إلى لغة ثانوية مهملة بفعل تغير الظروف السياسية، وأصبحت لغة هامشية لا تكاد تُسمَع لا في المؤسسات الحكومية الرسمية، ولا حتى في المؤسسات المحلية إلا قليلاً، لا تُسمَع العربية إلا على ألسنة الأقلية العربية وألسنة اليهود الشرقيين كلغة تخاطب بينهم، وحلت محلها لغة جديدة هيمنت على المجالات العامة.

وبرغم تراجع العربية على ألسنة الفلسطينيين - كما أوضحنا سلفاً - إلا أنهم يفهمون العربية بوصفها أحد أهم المركبات البارزة في هويتهم الفلسطينية، وذلك وفقاً لاستطلاع الآراء الذي وُزِع على 999 مستطلعاً، وقد نظر المستطلعون إلى الجانب الرمزي للغة العربية بوصفه أهم جانب فيها، ويمنحون التدرّج الأعلى للتصريحات المرتبطة بالأهمية الرمزية للعربية، مثلاً: العربية بوصفها "لغتي الوطنية"، "فخور باللغة العربية"، وهكذا...⁽⁵¹⁾.

*المطلب الثالث: آليات تهويد وعبرنة اللغة:

يفرض الكيان الصهيوني ضغوطاً قوية في اتجاه تهويد وعبرنة اللغة على لسان الفلسطينيين، وقد اتبع الكيان عدة آليات تضافرت كلها في أداء الدور المنوط بها، نذكر منها:

عبرنة أسماء الشوارع والأماكن:

لأسماء الأماكن والشوارع دور هام في حفظ الرواية الفلسطينية والذاكرة التاريخية للأرض، والكيان الصهيوني أدرك منذ قيامه هذه الحقيقة، وسعى لتهويد المدينة وتغيير معالمها العربية عبر تهويد وعبرنة أسماء الشوارع والأماكن للتأكيد على حقه في الأرض، وإثبات الرواية الإسرائيلية.

⁽⁴⁹⁾ انظر: أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

⁽⁵⁰⁾ أمارة، محمد، "حيوية اللغة العربية في إسرائيل من وجهة نظر اجتماعية لغوية"، (م: عدالة الإلكترونية، ع9)، 2006.

⁽⁵¹⁾ انظر: أمارة، محمد، "حيوية اللغة العربية في إسرائيل من وجهة نظر اجتماعية لغوية"، (م: عدالة الإلكترونية، ع9)، 2006.

وبدأ الصراع اللغوي حول التسمية بإطلاق الكيان الصهيوني أول قيامه اسم "إيريتس إسرائيل" أي: "أرض إسرائيل" على فلسطين(52)، إن هذه التسمية تنفي الوجود الفلسطيني، وتعني في طياتها بأن هذه الأرض ليس لأحد حق فيها إلا لليهود؛ ولذلك حرص الكيان الصهيوني على التمسك بهذا الاسم وتعميمه ونشره داخل الدولة وخارجها، يقول مناحيم بيغن: "إن اليهود لو تحدثوا عن فلسطين بدلاً من إيريتس إسرائيل، فإنهم يفقدون كل حق لهم في الأرض، لأنهم بذلك يعترفون ضمناً بأن هناك وجوداً فلسطينياً، وبالتالي إن عبارة أرض إسرائيل تدل على عدم الاعتراف بأي شعب آخر على هذه الأرض"(53).

وتنفيذا لمخطط عبرية أسماء المدن والأماكن شكّلت لجنة خاصة باسم "اللجنة الحكومية للأسماء" وكانت مهمتها جمع أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، وتبديل أسمائها العربية بأسماء عبرية(54)، واختارت هذه اللجنة أن تكون الأسماء الجديدة أسماء عبرية تاريخية للإشارة إلى الرابطة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين(55)، فمثلاً: مدينة القدس تمت عبرتها إلى (يروشلايم)، والخليل تحولت إلى (حبرون)، ونابلس أصبحت (شكيم)، وجنين أصبحت (جنيم)، ووادي غزة أصبح (ناحل بسور)(56).

واستمراراً لذلك المخطط جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية تضمنت تسميات عبرية لغالبية معالم البلاد، كما ركّز المسؤولون في وسائل الدعاية الصهيونية المقروءة والمسموعة والمرئية على استخدام الأسماء العبرية الجديدة للمواقع والأماكن في البلاد وفي الضفة والقطاع وعدم استخدام الأسماء العربية، بالإضافة إلى أن الحكومة الإسرائيلية ضمّنت الكتب والمقررات الدراسية الأسماء

(52) عبد الكريم، إبراهيم، تهويد أسماء المعالم الفلسطينية (الإيدولوجيا-التطبيقات-المواجهة)، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية،

<http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=580>. 2008-13-3

(53) السابق.

(54) انظر: البهنسي، أحمد صلاح، "التهويد الثقافي لفلسطين التاريخية: أشكال مختلفة ومنطلقات وأهداف واحدة"، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015-14-8. <http://www.nama-30554center.com/ActivitieDatials.aspx?id=>

(55) انظر: أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(56) انظر: البهنسي، أحمد صلاح، "التهويد الثقافي لفلسطين التاريخية: أشكال مختلفة ومنطلقات وأهداف واحدة"، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2015-14-8.

العبرية للمعالم الفلسطينية، وطالبت التلاميذ والمعلمين، حتى العرب منهم، بعدم استخدام الأسماء العبرية لتلك المعالم.

وأوضح الباحث سعيد يقين في دراسة بعنوان: (الحركة الصهيونية وخطر التصفية والتزوير الحضاري والتاريخي في منطقة القدس) أن التحريف الصهيوني لأسماء المواقع يكون إما عن طريق ترجمة الاسم إلى العبرية، مثل: جبل الزيتون الذي ترجم إلى (هار هزيتيم)، وتل رحيب والذي ترجم إلى (هار راحيف)، وعين غزال إلى (عين إيلاه)، أو عن طريق تحريف الاسم العربي ليلائم اسما عبريا، مثل: كسلا أصبحت (كسلون) والجيب (جبعون) وجبل الرحمة (هار راحاماه) وتل الشريعة (سيرع) وتل سيحان (شيحان)، مشيرا إلى أن التحريف يكون بالإضافة أو الحذف أو استبدال حرف بآخر (57).

"وفي بحث شامل لشكري عوّاف بعنوان: (المواقع الفلسطينية بين عهدين - خريطين)، أحصى فيه نحو 2780 موقعا تم تغيير أسمائها، وهي على النحو التالي: 340 قرية ومدينة، 1000 خربة، 380 عين ماء، 560 واديا ونهرا، 14 بركة وبحيرة، 50 مغارة، 28 قلعة وحصنا وقصرا، 198 جبلا، و210 تلا" (58).

عبرنة اللافتات ولوحات المحلات والإعلانات:

تشكل لافتات الشوارع ولوحات المحلات في الدول ثنائية اللغة أهمية كبيرة في تحديد هوية المكان الفعلية، كما وتعبّر تعبيرا واضحا عن السياسة العليا المنتهجة في الدولة، وتوضح ما إذا كانت هذه الدولة بالفعل ثنائية اللغة أم أن هناك لغة مهيمنة على حساب الأخرى.

عندما تنظر إلى تلك اللافتات واللوحات في شوارع فلسطين تعتقد للوهلة الأولى أن سياسة الدولة بالفعل ثنائية اللغة، بل وتراعي شرائح المجتمع وثقافته المتعددة؛ فتلك اللوحات مكتوبة باللغة العبرية والعربية والإنجليزية، إلا أنك إذا بدأت بالقراءة ستجد أن العبرية هي صاحبة السيادة؛ حيث إن العبرية تحتل الصدارة في الترتيب، وتكون على رأس اللافتة، وتليها العربية ثم الإنجليزية، كما ويخصص حجم للعبرية في اللافتة أو اللوحة أكبر من الحيز المخصص للعربية، فحجم الخط العبري

(57) انظر: أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(58) أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010، ص133.

تقريباً ضعف حجم الخط العربي، ونتيجة لذلك تظهر العبرية بشكل واضح وجلي على حساب العربية والإنجليزية (59).

بالإضافة إلى أن العربية قد جُردت من مضمونها ومخزونها الثقافي والعربي (60)؛ حيث إن "الكتابة بالعربية لا تكون بكتابة الاسم الأصلي العربي وإنما تكون بكتابة الاسم العبري المحرّف، ولكن بحروف عربية، ك (شخيم) بدلا من (نابلس)، و(قدوميم) بدلا من (كفر قدوم)، و(هبرون) بدلا من (الخليل)، وغير ذلك" (61).

عبرنة التعليم:

للمدرسة دور فعال في بناء الفرد وتشكيل شخصيته وهويته، كما أن التعليم هو أحد الميادين الهامة لترسيخ لغة ما، وقد استغل الكيان الصهيوني هذه النقطة في عبرنة ألسنة الأجيال الجديدة الصاعدة.

فقررت إسرائيل أول قيامها جعل العبرية لغة التدريس في المدارس العربية، إلا أن القرار قوبل بالمعارضة من العرب ومن بعض اليهود، وفي النهاية تم التوصل إلى إبقاء اللغة العربية لغة التدريس وجعل العبرية مادة إلزامية كلغة ثانية ابتداء من الصف الثاني (62).

والمناهج التي تم وضعها لتعليم اللغة العبرية تعكس الأهداف السياسية المتبعة من قبل الحكومة الإسرائيلية في عبرنة التعليم واللغة؛ حيث تركّز المناهج على ترسيخ ثقافة الشعب اليهودي وعاداته وقيمه في الماضي والحاضر، وتعزيز مكانة اللغة العبرية، وزرع الولاء للدولة اليهودية بين الأقلية العربية، واستخدام العبرية كأداة للتواصل الاجتماعي بهدف دمج الطلاب في دولة إسرائيل الزعومة وتأهيلهم للدراسة في الجامعة؛ حيث إن لغة التعليم العالي هي اللغة العبرية (63).

(59) دهامشة، عامر، "المكان والمكانة ليسا محض الصدفة-العبرية والعربية في لافتات القرى العربية"، كتاب دراسات، ع6، 2013.

(60) انظر: إدريس، سهام، "تعميش اللغة العربية في إسرائيل: لافتات المرور نموذجاً"، (م: عود الند، ع92).
http://www.oudnad.net/spip.php?article 1017

(61) جبر، يحيى، عبيد حمد، "العلاقة بين العبرية والعربية"، مدونة النجاح، 1-2-2009.

(62) انظر: أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.

(63) يعقوب، أوس داوود، تهويد التعليم في مقدمة المخططات "الإسرائيلية" لتهويد القدس الشريف، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 6-2-2012. http://www.alqudslna.org/index.php?action=article&id= 2914

كل هذا وكثير غيره -مما لا تتسع صفحات البحث لذكره- من صور وآليات عبرنة اللغة، يبرهن على أن اليهود لم ولن يكلّوا حتى يعبرنوا لسان الفلسطيني؛ فيسلخونه من جلده وينسونه هويته وأصله وتاريخ أرضه!

الخاتمة:

يقول عزّ من قائل: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (64) وحفظ القرآن يستلزم حفظ اللغة التي نزلت به، فاللغة التي شُرِّفت وعَظُم قدرها بنزول القرآن هي لغة محفوظة بحفظه وبأقية بقاءه ودائمة بدوامه -لا شك ولا ريب-!

وكما يُقال فإنّ الحقّ ما شهدت به الأعداء؛ حيث يقول المستشرق الأمريكي (كوتهيل): "إنّ اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي" (65).

فليس الخوف إذن على اللغة العربية، وإنما الخوف على متحدثيها من أبناء الشعب الفلسطيني من الانجراف والانسياق وراء محاولات العبرنة والتهويد اللغوي التي يمارسها الكيان الصهيوني ضدهم.

من هنا نهيب بأبناء هذه اللغة السامية ووسائل الإعلام العربية العمل على التوعية بالخطر الذي يهدد اللسان العربي في فلسطين، والتأكيد على دور اللغة في الحفاظ على الهوية الفلسطينية، ورفع الكفاءة اللغوية لدى الفلسطينيين، والحث على تطبيق المبادئ اللغوية السليمة، ومناشدة السلطات المحلية التعامل مع العاملين عليها وعملائها، ومع الهيئات الرسمية المختلفة باللغة العربية؛ لتتنصر إرادة الشعب الفلسطيني، وتعود اللغة العربية بحق كما قال الشاعر عدنان النحوي (66):

نَبْعٌ يَفِيضُ عَلَى الدُّنْيَا فَيَمْلؤها * رِيّاً وَيُطَلِّقُ مِنْ أَحْوَاضِهِ الحَفَلَا

نتائج البحث:

✓ اللغة العربية هي رمز الوجود الفلسطيني، وهي الوعاء الذي يحفظ الذاكرة التاريخية لهذا الشعب.

(64) (الحجر: 9)

(65) حمو، رابعة، اللغة العربية: هوية أمة وذاكرة تاريخ، ديوان العرب، 2012-8-30.

34057http://www.diwanalarab.com/spip.php?article

(66) أديب وشاعر وناقد ونحوي، سعودي من أصل فلسطيني.

- ✓ القبائل العربية هي أول من سكنت فلسطين منذ فجر التاريخ.
- ✓ عاش اليهود دائما في شتات وتيه؛ لم تجمعهم يوما أرض واحدة ولا لغة.
- ✓ اللغة العبرية ليست لغة أصيلة، وليس لها أي حضارة أو تراث تستند عليه.
- ✓ اللغة العبرية ليست لغة خالصة، بل هي مزيج وخليط من لغات شتى متفرقة.
- ✓ إحياء اللغة العبرية مسألة لها أبعاد سياسية مرتبطة بقيام الكيان الصهيوني وقيام دولة إسرائيل المزعومة.
- ✓ العبرية وليدة الأمس لا يمكن لها أن تدخل في حرب مع العربية التي لم تصل لغة أخرى إلى عراقها وأصالتها.
- ✓ الكيان الصهيوني يهدف إلى إفراغ اللغة العربية من مخزونها الثقافي والعربي وإضفاء الطابع اليهودي عليها.
- ✓ اللغة العربية لغة رسمية ثانية بموجب القانون إلا أنها مهمشة في جوانب الحياة المختلفة.
- ✓ اللغة العبرية هي المسيطرة على المشهد اللغوي في فلسطين.
- ✓ اللغة العربية تراجعت بشكل واضح على السنة الفلسطينية خاصة الذين يعيشون في المدن المختلطة.
- ✓ اللغة العربية ليس لها مكانة في دولة إسرائيل المزعومة، وهي مهمة لدى الأقلية العربية فقط.
- ✓ الشعب الفلسطيني يؤمن بأن اللغة العربية أحد أهم المركبات البارزة في هويتهم الفلسطينية.
- ✓ الخوف ليس على اللغة العربية وإنما على تحديثها من أبناء الشعب الفلسطيني.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
الكتب:
- أمارة، محمد، اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات، ط1، دار الفكر، الأردن، 2010.
- حتي، فيليب، (ت: جورج حداد، عبد الكريم رافق)، ج1، دار الثقافة، بيروت.
- أبو حكمة، هشام، تبيان الحدود بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ اليهود في العصور القديمة، دار الجليل، عمان.
- السويدان، طارق، فلسطين .. التاريخ المصوّر، دار الإبداع الفكري.
- صالح، محسن محمد، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة، بيروت - لبنان.
- الطبري، تاريخ الطبري، (تح: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط2، دار المعارف، مصر، 1967.
- ابن كثير، البداية والنهاية، ج1، دار عالم الكتب.
- كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، ط3، جامعة دمشق.
- المصري، جميل عبد الله محمد، حاضر العالم الإسلامي وقضايا المعاصرة، العبيكان.

- وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط3، نهضة مصر، القاهرة.
البحوث العلمية:
- أمارة، محمد، "حيوية اللغة العربية في إسرائيل من وجهة نظر اجتماعية لغوية"، (م: عدالة الإلكترونية، ع9، 2006.
- بلعاوي، حكمت، "الجدور التاريخية للغة العبرية ومنابع تطورها"، مؤسسة فلسطين للثقافة، 22-6-2006.
- جبر، يحيى، عبير حمد، "العلاقة بين العبرية والعربية"، مدونة النجاح، 1-2-2009.
- دهامشة، عامر، "المكان والمكانة ليسا محض الصدفة-العبرية والعربية في لافتات القرى العربية"، كتاب دراسات، ع6، 2013.
- دوابشة، محمد، محمد أبو الرب، "صراع العربية مع العبرية في المناطق المحتلة 1948"، الجامعة العربية الأمريكية.
- الكريم، إبراهيم، تهويد أسماء المعالم الفلسطينية (الإيدولوجيا-التطبيقات-المواجهة)، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 3-13-2008.
- البهنسي، أحمد صلاح، "التهويد الثقافي لفلسطين التاريخية: أشكال مختلفة ومنطلقات وأهداف واحدة"، مركز نماء للبحوث والدراسات، 8-14-2015.
- المقالات:
- الأحمد، أحمد عيسى، "محاولة لاستعادة تاريخ فلسطين الحقيقي"، العربي، أغسطس 2001.
- إدريس، سهام، "تهميش اللغة العربية في إسرائيل: لافتات المرور نموذجاً"، (م: عود الند، ع92).
- دك الباب، جعفر، "أصالة اللسان العربي"، (م: التراث العربي، ع10)، 1-1-1983.
- حبيب الله، محمد، "واقع ومستقبل اللغة العربية في إسرائيل"، (م: الجبهة)، 13-7-2017.
- حمدان، محمد جهاد، "ليست صدفة"، م: دنيا الوطن، 28-2-2014.
- حمو، رابعة، اللغة العربية: هوية أمة وذاكرة تاريخ، ديوان العرب، 30-8-2012.
- رشيد، فايز، "عبرية الدولة تساوي يهوديتها"، (م: القدس العربي)، 17-4-2014.
- السيد، محمد محمود، "أسطورة الإحياء: كيف هاجرت العبرية إلى فلسطين؟"، ج1، (م: إضاءات)، 19-2-2016.
- يعقوب، أوس داوود، تهويد التعليم في مقدمة المخططات "الإسرائيلية" لتهويد القدس الشريف، مؤسسة القدس للثقافة والتراث، 6-2-2012.